هيا في بلاد الصبان

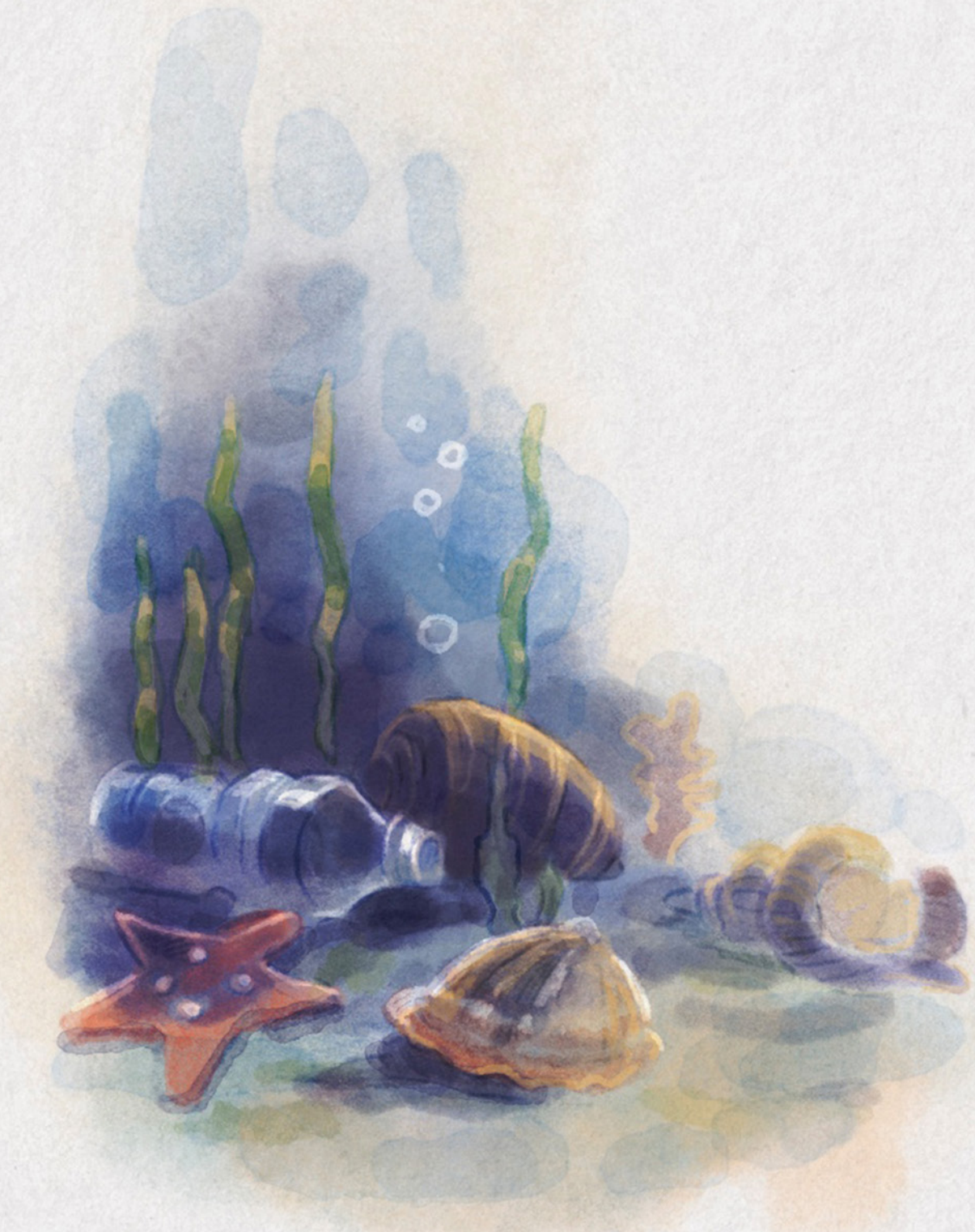
تأليف: د. فاطمة المعاضيد



رسومات: نبيل أبو غنيمة

هيا في بلاد الصبان

د.فاطمة المعاضيد



وزارة الثقافة
Ministry of Culture
State of Qatar • دولة قطر

هيا في بلاد الصبان

تأليف: د. فاطمة المعاضيد

الطبعة الأولى - 2024

الناشر: وزارة الثقافة

إدارة الإصدارات والترجمة

قسم الإصدارات

البريد الإلكتروني: rs@moc.gov.qa

هاتف رقم: 44022222

ص.ب: 2511

الدوحة - قطر

رسومات وإخراج فني: نبيل أبوغنيمة

تصميم: إســـــراء - أحمد غزالة

التدقيق اللغوي: محمد عبداللطيف

الإشراف العام: شيخة الكواري

رقم الإيداع في دار الكتب القطرية: 9789927173028

الترقيم الدولي (ردمك): 2024/773

(اسم/شعار المطبعة)

جميع الحقوق الأصلية للكتاب محفوظة للناشر

(لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر).

هيا في بلاد الصبان

وصلت هيا والعائلة إلى بحر زكريت بتلاله الجميلة وطبيعته الخلّابة، حيث تلتقي الصحراء بالبحر..

فور انعطاف السيارة عن الطريق السريع، وعندما أخذ والد هيا الشارعَ الفرعي متجهاً للبحر فتحت هيا النافِذة..

هواءُ البحر المُنعش ورائحته المُميَّزة هو أول إشارة لقرب وصولهم للشاطئ..

على الرغم من الهواء المُندفِع من النافِذة إلّا أن هيا تستمتع بالنسيم الذي يداعب وجهَها وشعرَها، بينما تتحرَّك السيارة نحو الشاطئ الغربي..







تصل العائلة بعد أنْ توقفوا بضع مرّاتٍ لاختيار المكان المناسب ليستقرّوا به أمام سيف[1] البحر الرملي..
تبدأ الترتيبات المُعتادة من فرش السجادة وإنزال الطعام والماء والمشروبات ونصب سناح[2] لتغطية جُزء من المكان عن أشعة الشمس وأعين المُتطفلين، ولإعطاء نوعٍ من الخصوصية على جلستهم البسيطة..



1) يُسمَّى شاطئ البحر باللهجة القطرية (سِيف) بكسر السين

2) السناح باللهجة القطرية هو ساتر من قماش وأعمدة يشبه جدار الخيمة، ولكنه أقصر ارتفاعا



على الرغم من مغريات الأطعمة والمثلجات إلّا أنّ هيا وأخواتها وبنات خالتها وابن خالتها أحمد وأبناء عمه لا يرون إلّا ماء البحر المُتلألئ يناديهم..

يهرع الأطفال في صرخاتٍ متفاوتة الارتفاع، وهم يضربون بأرجلهم الصغيرة ماء البحر الضحل، ويشقون بمجهودٍ أكبر طريقَهم للمياه الأعمق قليلاً..

انتبهوا لا تبتعدوا كثيراً.. يُحذِّر الأب واقفاً على مسافة ليست ببعيدة من السيارة وجلسة الأهل..



خلال ساعاتِ العصر الأولى يتردَّد
الأطفال بين الجلسة والماء كالنحلاتِ
بين الزهور والخلية..
صوتُ النورس يُسمَع من مكانٍ ليس
ببعيدٍ، وينتشرُ الأطفال على أنحاء
الشاطئ في مجموعات..





يُنَقِّبُ البعض عن الشربيان[1] بين الصخور في جهةٍ، وعن القواقع أو الصبان[2] في جهةٍ أخرى، بينما ينغمس أحمد وبقية أولاد عمّه في حفر حفرةٍ عميقة لم يحدّدوا بعد الهدفَ منها..

1) الشربيان نوع من سرطان البحر صغير الحجم وغامق اللون ينتشر في الشقوق الحجرية في شواطئ قطر

2) تُسمّى القواقع باللهجة القطرية صبان أو حويت بحسب شكلها وحجمها



تمشي هيا وأخواتها وبنات خالتها بمحاذاة الشاطئ بعد أنْ انتهين من السباحة وأخذت ملابسهن المُبللة تنشف من حرارة الجو، بينما هنّ منهمكات بالتنقيب بين الرمل عن أجمل القواقع التي يمكن أنْ يجدنها.

القواقع في شواطئ بلادنا متميِّزة جداً، رقيقة ذات طابعٍ خاص، تتخيلها البنات شخصياتٍ (أم، وأب، وأبناء) بعد بحثٍ مضنٍ عن أجملها شكلاً.

تضع هيا والبنات الأصداف في دلوٍ بلاستيكي أحمر صغير، يجلسن تارةً ويمشين تارةً..





في غفلةٍ منهن يهجم
ابن خالتها أحمد على الفتيات
لينتزع منهن الدلوَ البلاستيكي
الأحمر ويركض وهو يضحك:

وجدت الكنز!

تصيح البنات ويركضن خلفه طالبات المُساعَدة من والدتهن..

وقبل أن يرمي محتويات الدلو الثمين بداخل الحفرة الرملية استطاعت أم هيا أنْ تمسك الدلوَ من يده وتعيده إلى يد هيا الصغيرة.

تَوقَّف عن المُشاغَبة يا أحمد.

.. انتشرت البنات بعد ذلك هنا وهناك دون اهتمام منهن كثيراً لما حدث..







تأخذ هيا دلوها الأحمر الصغير وتمشي لتجلس خلف مرتفع حجري صغير وتتفحص الأصداف..

الهواء العليل بعد السباحة يبعث على النُعاس فتنام الصغيرة على الرمل الدافئ، بينما تداعب أشعة الشمس البرتقالية أمواج البحر.



تستيقظ هيا على أصواتِ صغيرة حولها فتلتفت
يمنةً ويسرةً لترى أصدافاً صغيرة بأعينها الكبيرة
اللامعة تنظر إليها.

استيقظت.. **انظر..**

هل ستساعدنا؟ لقد..

تفرك هيا عينيها، هل هذا حلم؟!

أنا **صبّونة**.. وهذا العمّ **حويت**

نحتاج مساعدتك....



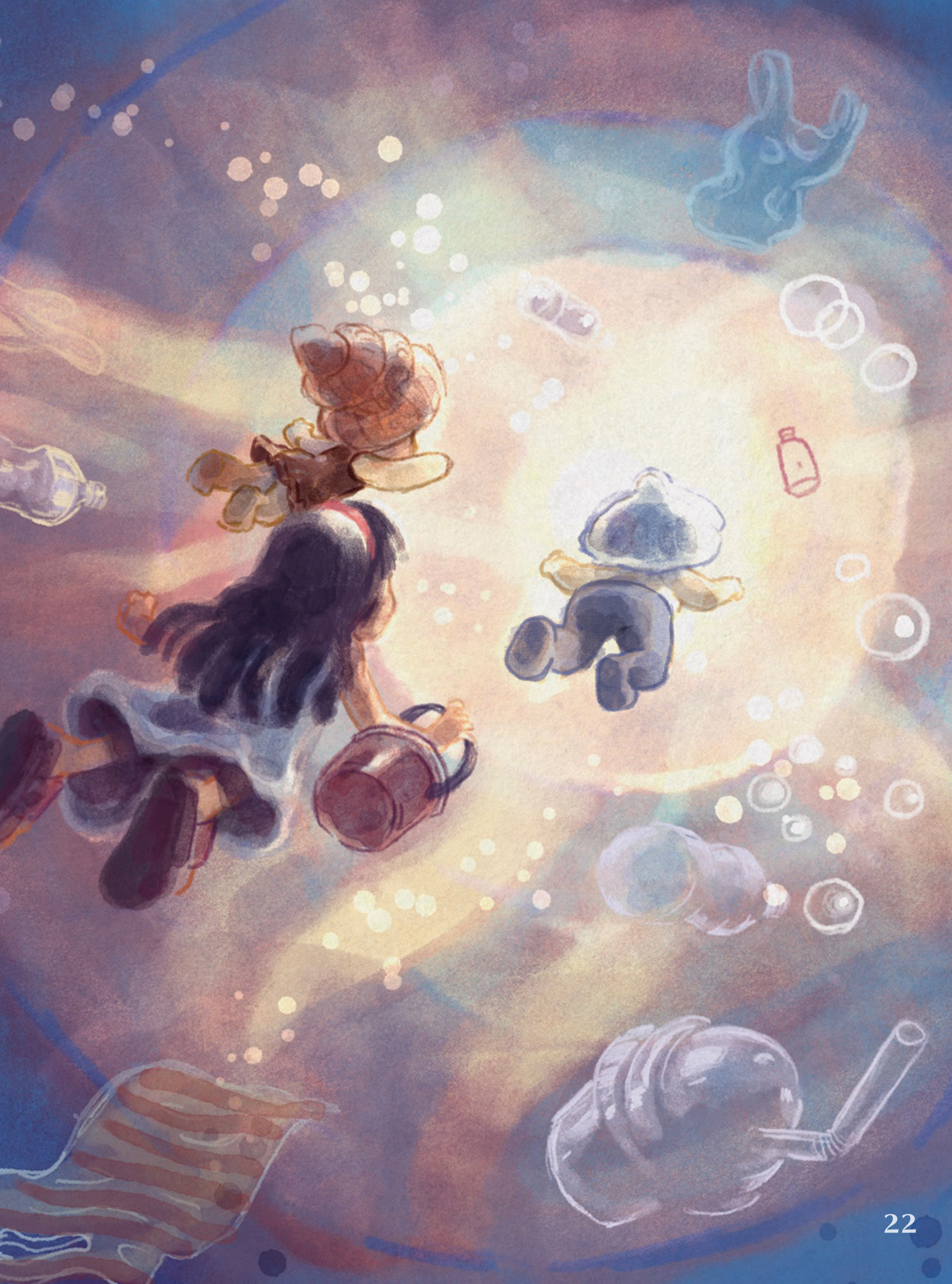


وجدت هيا نفسها تصغر حتى أصبحت بحجم الصبان الصغير،
وتستمر الأصداف الصغيرة بالكلام معها وسط استغرابها:
ملك وملكة الصبان بحاجة إلى مساعدتك!

مملكة الصبان في خطر

لا يوجد وقتٌ للشرح.. تعالي معنا وسوف ترين بعينيك..

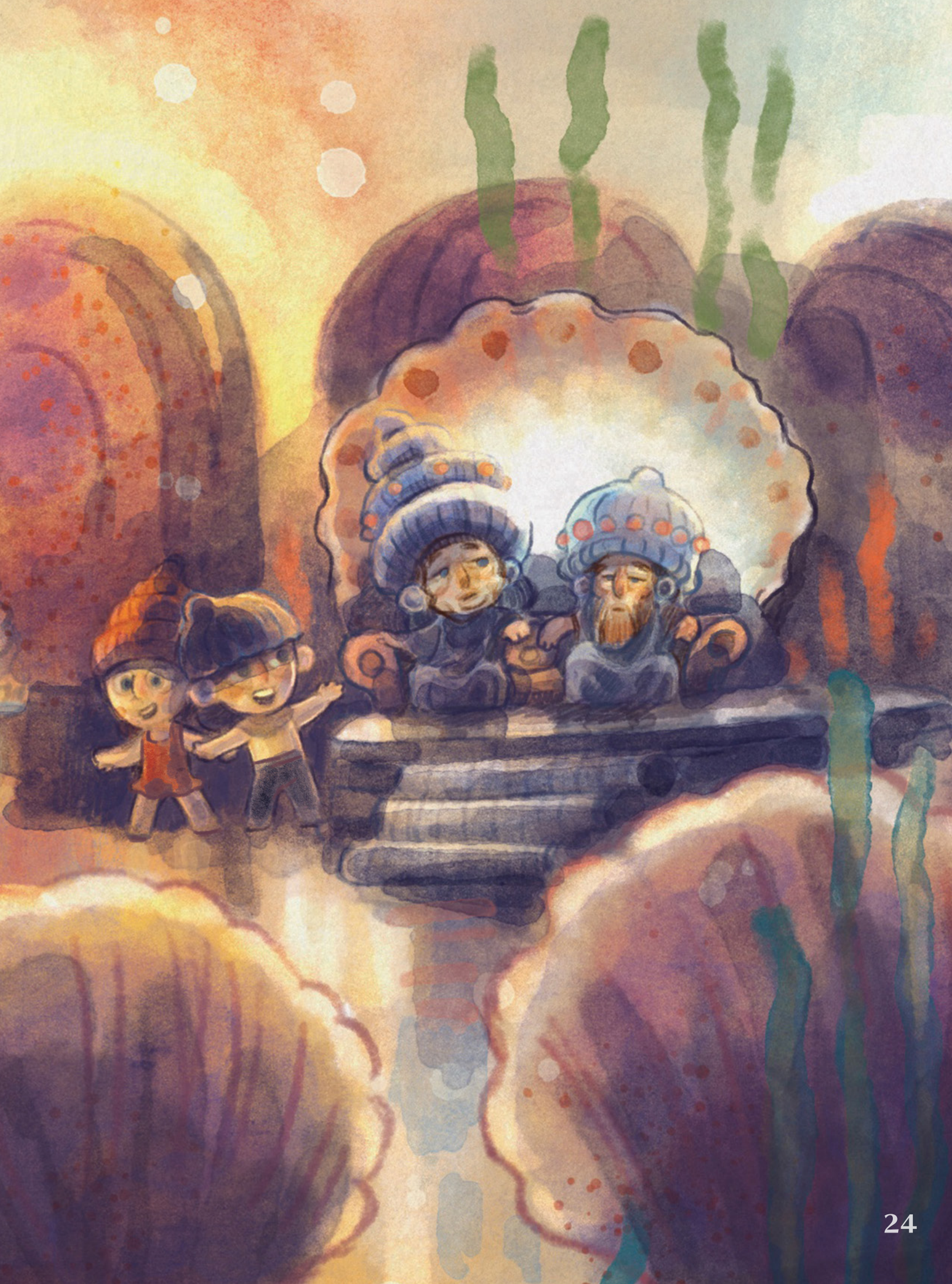




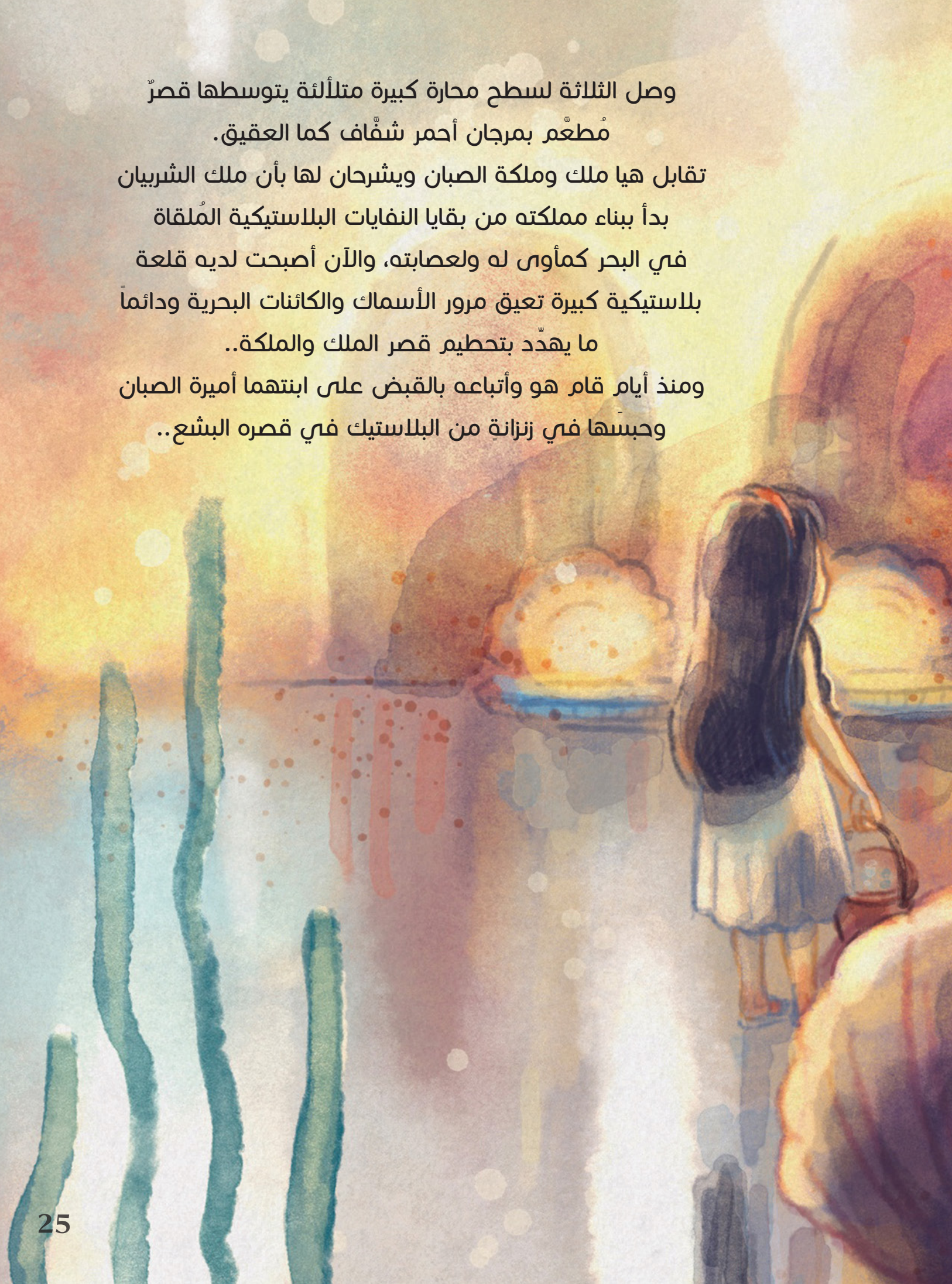


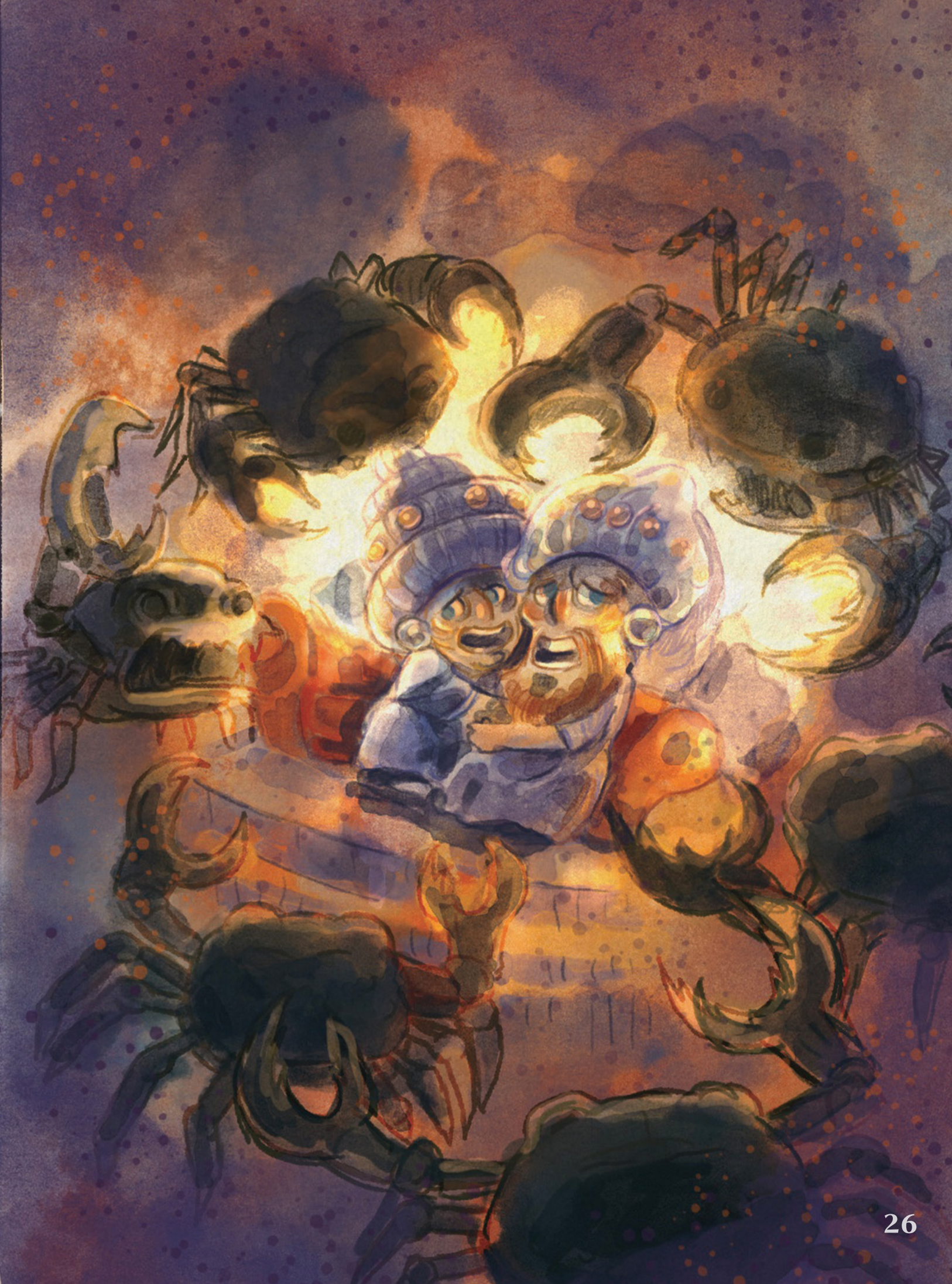
تتوجّه القواقع للبحر مُمسكةً بيد هيا الصغيرة
وتغوص معها تحت الماء!
متجهةً للأعماق!!
ترى هيا حولها قناني بلاستيكية وعلباً وملاعق وأكياساً مختلفة
الأشكال والألوان تطفو حولهم في دوامة[1] تتسارع..
تصبح الدوامة المائية أقوى فأقوى!
أسرعي يا هيا قبل أن تبلعنا دوامة ملك الشربيان الشرير!
يبني ملك الشربيان مملكته من النفايات والمخلفات البلاستيكية،
وهو يهدِّد مملكتنا بالهجوم عليها..

1) الدوامة دائرةٌ تدورُ عليها الأمواجُ بشدةٍ وعُنفٍ، أعلاها مُتَّسعٌ وأسفلُها ضيّقٌ



وصل الثلاثة لسطح محارة كبيرة متلألئة يتوسطها قصرٌ
مُطعَّم بمرجان أحمر شفَّاف كما العقيق.
تقابل هيا ملك وملكة الصبان ويشرحان لها بأن ملك الشربيان
بدأ ببناء مملكته من بقايا النفايات البلاستيكية المُلقاة
في البحر كمأوى له ولعصابته، والآن أصبحت لديه قلعة
بلاستيكية كبيرة تعيق مرور الأسماك والكائنات البحرية ودائماً
ما يهدِّد بتحطيم قصر الملك والملكة..
ومنذ أيام قام هو وأتباعه بالقبض على ابنتهما أميرة الصبان
وحبسَها في زنزانةٍ من البلاستيك في قصره البشع..





وأثناء حديثهم يفاجئهم الشربيان بالهجوم، ويقبض جنوده على ملك وملكة الصبان

ويحبسونهما في قنينة ماءٍ قديمة، ثم يأخذونهما لقلعة الشربيان المصنوعة من البلاستيك والنفايات من قناني وعلب، التي نمت عليها الطحالب البحرية بطريقةٍ عشوائية تسدُّ الطريقَ على الكائناتِ البحرية والأسماك التي تريد المرور من خلف القصر.





تهرب هيا مع أصدقائها الصبان بسرعة قبل أن يراها ملك الشربيان وأعوانه ويختبؤون في دحلٍ بحريٍّ مجاور..

تشعر هيا بالغضب من تصرُّفات الملك الشرير..

كيف أصبحت قلعته كبيرة بحيث تسدُّ الطريقَ على الأسماك؟!

إنه يجمع كل النفايات والأغطية البلاستيكية والأكياس منذ فترةٍ طويلة، خاصةً تلك التي يجرفها الموجُ، والتي تُلقَى على الشاطئ، حيث قام هو وجيشه من الشربيان بالمشي على الرمل وجمعها من بين الصخور والفشوت[1]..

1) الفشت هو تجمع صخري في وسط مياه البحر يُرى بعضه فوق الماء





تخطط هيا وأصدقاؤها من الأصداف
للهجوم على الشربيان
وإنقاذ ملك وملكة الصبان والأميرة..
يتشاورون مع الحكيمة «لخمة»[1] التي تنضم
إليهم بكلّ تشجيع مقبلةً بجناحيها
تخبرهم بأنها ستنادي أصدقاءها من جميع
الكائناتِ البحرية لمساعدتهم، ولكنها تطلب
من هيا أن تعدها بأن تقوم بدورها
في توعية أخواتها وقريباتها وصديقاتها
في المدرسة بعدم إلقاء النفايات البلاستيكية
في البحر أو على الشاطئ، وبالحرص التام
على نظافتهما حتى لا يتمكّن الشربيان
من بناء قلعته مستقبلاً من تلك النفايات.



1) اللخمة من الكائنات البحرية، أو بما يُسمّى الأسماك الغضروفية معروفة بخطورتها، لها ذيل طويل في منتصفه شوكة سامة



ترى هيا قلعة ملك الشربيان الشرير المصنوعة من البقايا
البلاستيكية من بعيد،
وخثاق[1]، جاسوس ملك الشربيان، يُطل من حولهم ليحذّر
ملك الشربيان باقترابهم..

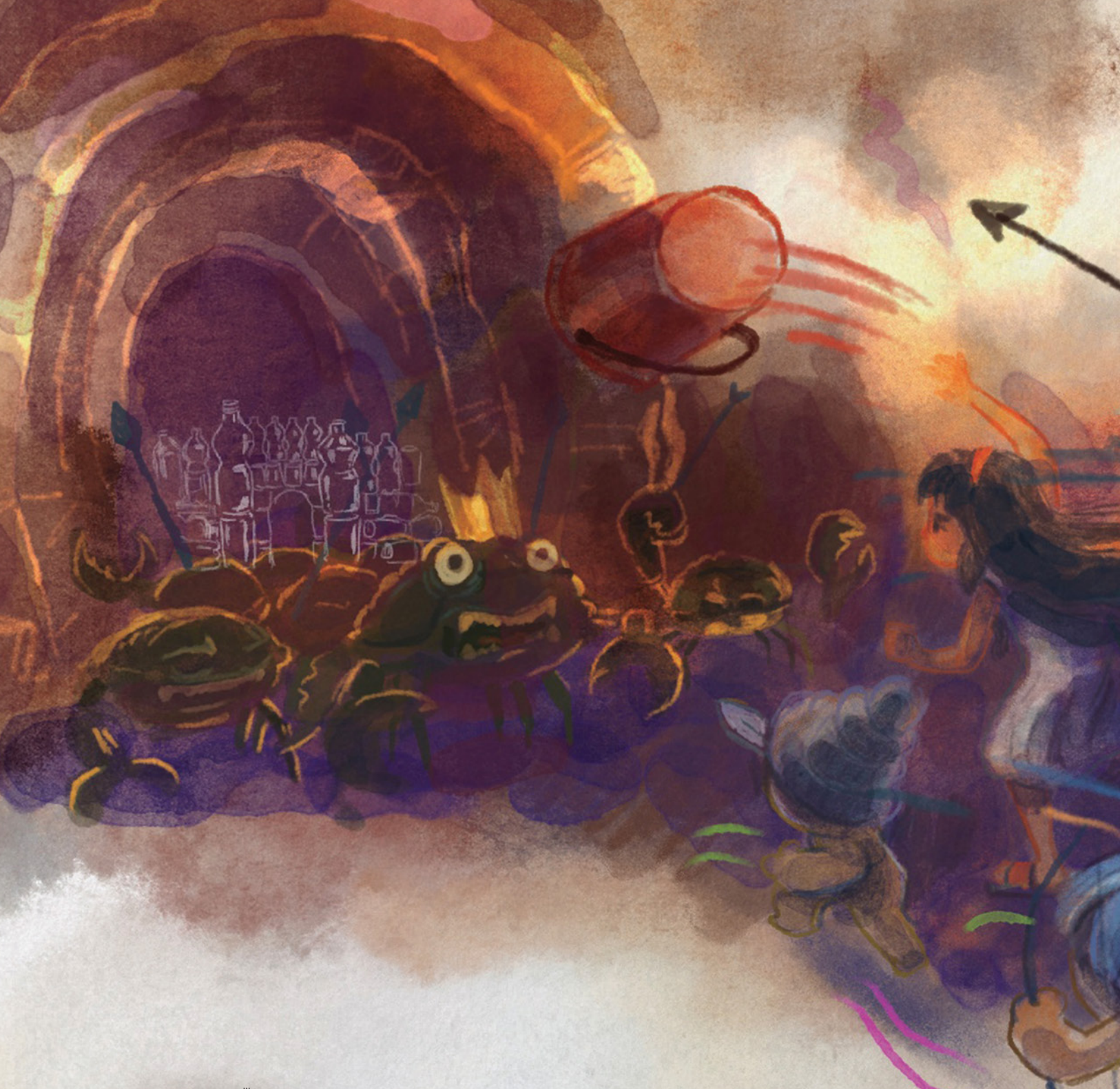
1) الخثاق هو نوع من الأخطبوط صغير الحجم



ترجع هيا وأصدقاؤها الصبان
إلى الدحلِ البحري (الميفره)[1]
تتجمع فرقة هيا وأصدقاؤها
ويقتربون من منطقة الشربيان..
مع جميع الكائنات البحرية
لمُساعدة الملك والملكة..
ويتقدّمون مرةً أخرى إلى قلعة
ملك الشربيان..

1) الميفره هي فجوات مختلفة الشكل بالشعاب المرجانية وتعتبر ملجأ للأسماك الكبيرة كالهامور مثلاً، حيث تتكاثر داخل تلك الفجوات





تقوم الكائنات البحرية بالهجوم على القلعة وفي مقدّمتهم هيا والأصداف ولخمة الحكيمة ويشتبكون مع جيش الشربيان في (الفشت الكبير)..

الجميع في خطر والشربيان يهجم على الكائنات البحرية بعنف..

ترمي هيا الدلو الصغير الأحمر بقوة..

يُصيب ملك الشربيان ويَسقُط محبوساً تحته.



بعد سقوط قائدهم يهرب جيش الشربيان بسرعة
في كلّ الأنحاء، ويُحرِّر الأصدافُ ملكَهم وملكَتهم والأميرة..
يهتف الجميع باسم هيا، ويشكرونها قائلين:
سنقوم بتفكيك قلعة الشربيان لنسمح للأسماك بالعبور..
لا تقلقي يا هيا..
ثم يُعيدون لها دلوها الصغير، ويساعدونها
على العودة إلى الشاطئ..



تستيقظ هيا ولا تدري إنْ كان

حلماً أم حقيقة!!

مملكة الصبان والشربيان الشرير

الدحل البحري ولخمة «الحكيمة»؟

ترى قوقعةً لامعةً مُطعَّمة بالياقوت

داخل دلوها وتبتسم..





تنادي هيا أخواتها وبنات خالتها وابن خالتها أحمد وأبناء عمّه
لمساعدتها في جمع العلب والأكياس البلاستيكية
من على السيف في دلوها الأحمر العجيب..
وهي تردّد قائلة:

لن نسمح للشريان الشرير ببناء قلعته مرّة أخرى



د. فاطمة المعاضيد

باحثة وكاتبة قطرية، حاصلة على
درجتي الدكتوراه والماجستير
من جامعة أكسفورد العريقة،
خبرة عشرين عاماً في مجال
سياسات التعليم، والطفولة المبكرة،
والمناهج، وتعليم القراءة والكتابة،
لها ثلاثة إصدارات سابقة للطفل:
«نخلتي من عمري»، «بنت المطر»،
و«الفريس».

